تحليل

العدد/108 يناير 2020

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies
ORSAM

"المواجهة الأمريكية–الإيرانية في العراق بعد اغتيال الجنرال قاسم سليماني: لا حرب شاملة ولا سلام دائم"

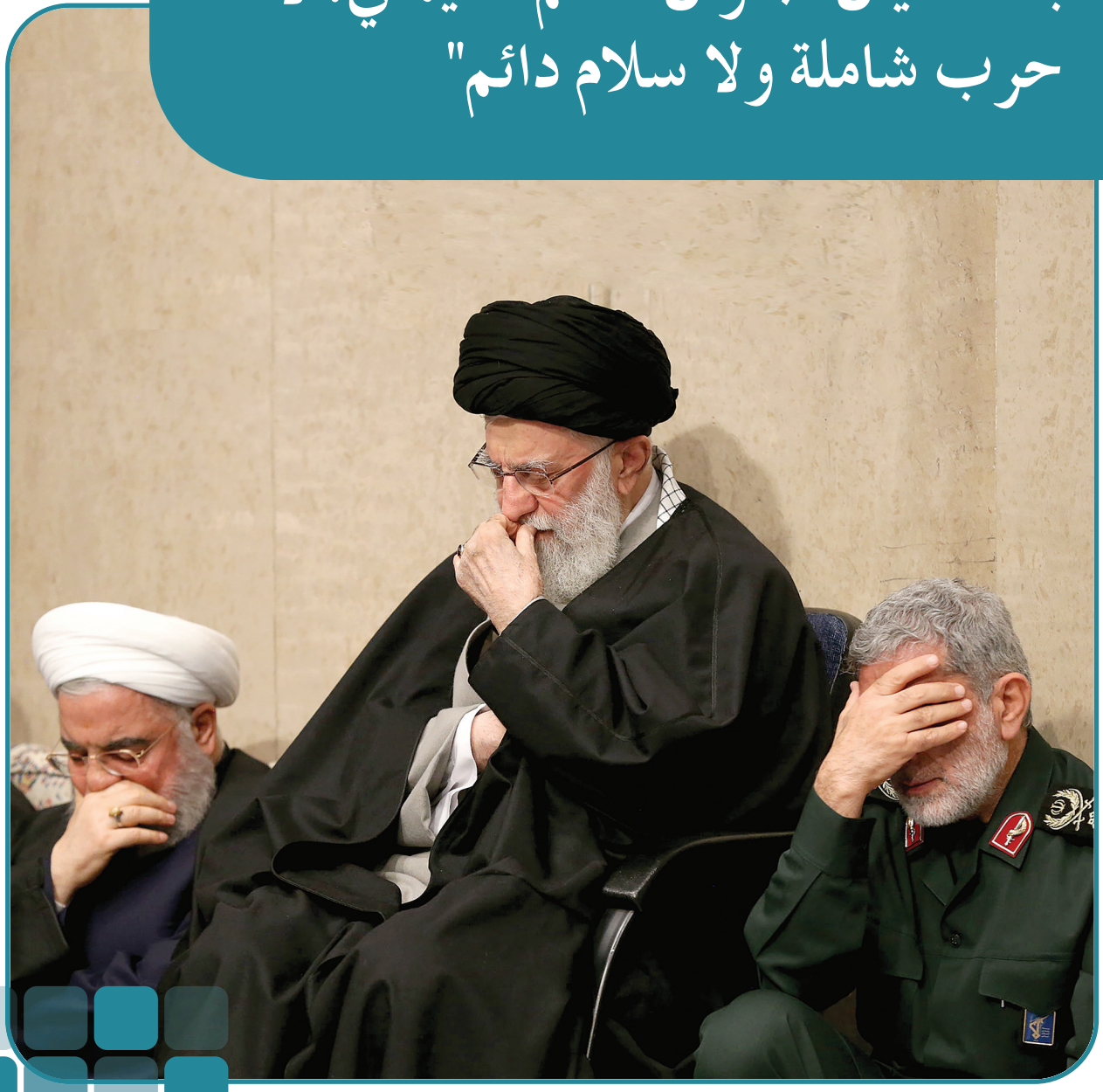

واثق السعدون

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

حقوق النشر والتاليف

2020 © ORSAM أنقرة–تركي/ أورسام

حقوق طبع محتوى هذا المنشور هي حصريا لأورسام ORSAM. باستثناء الاقتباسات المقبولة والجزئية،والتي يتم استخدامها بمو جب قانون الأعمال الفكر يةوالفنية رقم 5846، عبر الاقتباس الصيح، لا يجوز استخدام محتو ى هذا المنشور، أو إعادة طبعه ونشر ه بدون إذن مسبق من أورسام ORSAM. الآراء الو اردة في هذا المنشور تعبر عن وجهة نظر مؤلف هذا المنشور، ولا تعبر عن الر أي الر سمي لأورسام ORSAM.

Center for Middle Eastern Studies مركز دراسات الشرق الأوسط
العنوان: أنقر ة/جنقايا/ محلة "مصطفى كمال"/ زقاق 2128 / بناية 3
هاتف: 20 15 888 850 90+
فاكس: 48 39 439 (312) 90+
مصدر الصور المنشورة: **Anadolu Agency**

تحليل
Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

"المواجهة الأمريكية–الإيرانية في العراق بعد اغتيال الجنرال قاسم سليماني: لا حرب شاملة ولا سلام دائم"

بخصوص الكاتب

د.واثق السعدون

خبير دراسات العراق في مركز أورسام منذ 2018. باحث زائر في أورسام منذ 2015. أحد أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الموصل في العراق منذ عام 2008. باحث أقدم في مركز الدراسات الاقليمية بجامعة الموصل منذ عام 2008. حاصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ العلاقات الدولية. حاصل على الماجستير في التاريخ العسكري المعاصر. تتركز اهتماماته البحثية على الشؤون العراقية والبعد الأمني في العلاقات الدولية والاستراتيجيات العسكرية. قام بتأليف كتاب (عوامل القوة وعوامل الضعف في العلاقات العراقية–التركية المعاصرة 2017) وكتاب (البعد الأمني في العلاقات العراقية–التركية المعاصرة 2014). ساهم بتأليف خمسة كتب مشتركة هي (العراق ودول الخليج العربي2013)، (دراسات في تاريخ القوقاز المعاصر 2011)، (صناعة القرار في دول الخليج العربي 2010)، (التقرير الاستراتيجي لمركز الدراسات الاقليمية 2010)، (التقرير الاستراتيجي لمركز الدراسات الاقليمية 2012). له 25 بحث منشور في مجلات علمية عراقية وعربية وتركية. له أكثر من 50 مقالة علمية. ألقى محاضرات في أكثر من 30 مؤتمر علمي وندوة وورشة عمل ودورات تدريبية داخل العراق وفي الدول العربية وفي تركيا. حصل في عام 2015 على زمالة بحثية من معهد التعليم الدولي في نيويورك.

يناير 2020

مقدمة:

استفاق العراقيون يوم الجمعة 3 كانون الثاني 2020 على خبر صادم، وهو مقتل قائد "فيلق القدس" الجنرال قاسم سليماني ونائب رئيس الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، نتيجة ضربة جوية أمريكية استهدفت موكبهم بالقرب من مطار بغداد الدولي، بالرغم من أن الأمريكان والجميع يعرف جيداً ما تمثله هاتين الشخصيتين، من الأهمية والأدوار والرمزية في إيران والعراق.

ومع كل المبررات التي ساقتها الولايات المتحدة لهذه الضربة الجوية، إلا أنها مثلت انتهاكاً أمريكياً واضحاً للسيادة العراقية، وأدخلت هذه الحادثة المنطقة في حالة من التصعيد في المواقف، وتبادل التهديدات، بين الولايات المتحدة من جهة، وإيران والفصائل المسلحة التابعة لإيران من جهة مقابلة، ووصلت المنطقة إلى حافة الحرب المفتوحة، وبخاصة بعد الهجمات الصاروخية التي شنتها إيران فجر يوم 8 كانون الثاني على مواقع عسكرية أمريكية في العراق، انتقاماً لمقتل سليماني. تلك الهجمات الصاروخية الإيرانية لم تحدث سوى أضراراً مادية طفيفة، إلا أنها تعد انتهاكاً إيرانياً واضحاً للسيادة العراقية أيضاً.

> شهد العراق في الأيام التي أعقبت مقتل سليماني، تداعيات وتحركات سياسية وأمنية مرتبطة بالحادثة، أكثر مما شهدته إيران نفسها، أو أي بلد آخر من البلدان المحسوبة ضمن دائرة النفوذ الإيراني في المنطقة

وبالرغم من إيران لها هيمنة ونفوذ سياسي وأمني في أربع بلدان عربية (العراق، سوريا، لبنان، اليمن)، إلا أن العراق كان هو الساحة التي شهدت الانعكاسات الأقوى لحادثة مقتل سليماني، حيث لم يُحدث مقتل سليماني هزة قوية للأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة فقط، بل كان له تأثيراته الاقتصادية أيضاً، وقد كان العراق بمثابة مركز لهذه الهزة، فقد شهد العراق في الأيام التي أعقبت مقتل سليماني، تداعيات وتحركات سياسية وأمنية مرتبطة بالحادثة، أكثر مما شهدته إيران نفسها، أو أي بلد آخر من البلدان المحسوبة ضمن دائرة النفوذ الإيراني في المنطقة، حيث أن أزمة اغتيال سليماني بدأت بانتهاك أمريكي للسيادة العراقية، ويبدو أنها ستنتهي بالانتهاك الإيراني للسيادة العراقية. ويمكننا توصيف تداعيات مقتل سليماني والمهندس في العراق بثلاث مراحل:

- مرحلة الصدمة.
- مرحلة تصاعد المواقف.
- مرحلة خفض التصعيد ولملمة التوتر.

1- لماذا أصبح العراق جبهة الانتقام لمقتل سليماني؟

من المعروف أن هناك عدة جبهات للمواجهة بين الولايات المتحدة وإيران في المنطقة، ففي سوريا تنتشر معسكرات الفصائل المسلحة التي تدار من الحرس الثوري الإيراني، جنباً إلى جنب مع بعض القواعد العسكرية الأمريكية، وفي مياه الخليج العربي تبحر الأساطيل الأمريكية بمرافقة قريبة من بحرية الحرس الثوري الإيراني، فضلاً عن القواعد العسكرية الأمريكية التي تحيط بالأراضي الإيرانية من الاتجاهات الأربعة، وفي (العراق، الكويت، البحرين، قطر، الإمارات، عُمان، باكستان، أفغانستان، تركمانستان)، وكذلك يوجد في لبنان الذراع الأقوى للحرس الثوري الإيراني في المنطقة (حزب الله اللبناني)، بمواجهة مباشرة مع الحليف الأقوى للولايات المتحدة في المنطقة (إسرائيل)،

من بين كل هذه الجبهات أصبح العراق الجبهة الأكثر سخونةً وتفاعلاً بعد مقتل سليماني، واحتفظت باقي الجبهات بهدوئها.

هنالك عدة عوامل جعلت من العراق ساحة المواجهة الرئيسة بين الولايات المتحدة وإيران، قبل وبعد مقتل سليماني، بدءاً من أن الولايات المتحدة كان بإمكانها

> من العوامل المهمة التي جعلت من العراق ساحة مثالية لتصاعد المواقف والأحداث بعد مقتل سليماني، هو الحجم الكبير للاستثمار الأمني والسياسي الإيراني في العراق

تصفية سليماني في أي وقت، وفي أي مكان غير العراق، إلا أنها قررت قتله في العراق وفي هذا الوقت بالذات، حتى تثبت للإيرانيين بأنها عازمة على حماية مصالحها في العراق، وبأن الولايات المتحدة مستعدة لأي تصعيد يُفرض عليها في المواجهة مع إيران.

أما توقيت مقتل سليماني، فهو كان بمثابة إعلان من الولايات المتحدة عن تغيير استراتيجيتها تجاه إيران ووكلائها في المنطقة، خصوصاً الفصائل المسلحة في العراق المدعومة من إيران، بعد تكرار الهجمات التي شنتها تلك الفصائل ضد المعسكرات والمصالح الأمريكية، وأن الولايات المتحدة قد قررت التحول من إستراتيجية الاحتواء والاكتفاء بإصدار العقوبات الاقتصادية، إلى إستراتيجية الرد بالقوة المسلحة على أي هجوم من إيران ووكلائها، بمعنى أن الصراع الأمريكي– الإيراني في العراق، تحول من مرحلة "عض الأصابع" إلى مرحلة "كسر العظام".

من العوامل المهمة التي جعلت من العراق ساحة مثالية لتصاعد المواقف والأحداث بعد مقتل سليماني، هو الحجم الكبير للاستثمار الأمني والسياسي الإيراني في العراق، فطوال الـ 16 سنة الماضية التي أعقبت الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق، اندفعت إيران بأقصى طاقتها وإمكاناتها وجهدها للتدخل في شؤون العراق الأمنية والسياسية. أمنياً: نجحت إيران في تشكيل أكثر من 60 فصيل مسلح في العراق يدين بالولاء للتوجهات الإيرانية، عن طريق تأسيس جناح مسلح لكل حزب سياسي عراقي قريب من إيران، وتأسيس جناح سياسي لكل فصيل مسلح مدعوم من إيران، كما نجحت إيران في أن تجعل هذه الأحزاب والفصائل هي الطرف الأقوى في المعادلة الأمنية والسياسية في العراق. سياسياً: أصبحت إيران الفاعل الأقوى في تشكيل المشهد السياسي في العراق طوال السنوات الماضية، بدءاً من التحكم في ترتيب التحالفات الانتخابية ونتائج الانتخابات، إلى تشكيل الحكومات واختيار رئيس الوزراء، وإن تأثير ونفوذ إيران على العملية السياسية في العراق بات يشمل جميع القوى السياسية، على اختلاف مرجعياتها وتوجهاتها وانتماءاتها الطائفية والقومية.

من جهة أخرى جاءت حادثة مقتل سليماني والمهندس مع وجود اضطراب سياسي وأمني واجتماعي كبير في العراق، بسبب تصاعد الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت في تشرين الأول 2019، حيث أن هذه الاحتجاجات أدت إلى استقالة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي في 29 تشرين الثاني الماضي، وتحولت حكومته إلى حكومة تصريف أعمال، وبحسب المادة 76 من الدستور العراقي، كان على رئيس الجمهورية برهم صالح أن يختار مرشحاً جديداً لرئاسة الوزراء خلال 15 يوماً من استقالة عبد المهدي، ولكن هذا الأمر لم يتم لحد الآن، بسبب تعقيدات المشهد السياسي الحالي في العراق من جهة، والضغوطات التي تشكلها الاحتجاجات على القوى السياسية من جهة أخرى، بمعنى أن حادثة مقتل سليماني والمهندس، حصلت في وقت يمر فيه العراق بحالة من الفوضى الدستورية

والسياسية والاحتقان الشعبي، مع وجود عجز واضح في قدرة القوات الأمنية الحكومية على السيطرة على الأوضاع الأمنية في البلد، هذه الظروف خلقت مناخاً مناسباً لكل الأطراف المعنية بحادثة مقتل سليماني (الولايات المتحدة، إيران، القوى السياسية–المسلحة العراقية الموالية لإيران)، بأن تصعد مواقفها وخطواتها وردود أفعالها في الساحة العراقية، بكل حرية ومرونة وبدون قيود.

> وصل تأثير ونفوذ سليماني في العراق إلى درجة كبيرة لا يمكن تصورها، ولن نتردد إذا قلنا أن نفوذ سليماني في العراق لا يضاهيه نفوذ أي مسؤول أو سياسي في العراق من كل المناصب والقوى السياسية، ومن كافة الطوائف والقوميات

2–مرحلة الصدمة:

تسببت حادثة مقتل سليماني بضربة جوية أمريكية، بحدوث صدمة كبيرة لإيران وحلفاؤها في المنطقة، كما تسببت بحدوث دهشة ومفاجأة كبيرة لخصوم إيران، لأن الجنرال سليماني شخصية بالغة الأهمية في إيران والمنطقة، وأن قرار استهدافه بضربة جوية تعد خطوة جريئة، وتصعيد خطير من الولايات المتحدة. فالجنرال سليماني هو العقل المدبر للتغلغل والنفوذ الايراني في المنطقة، ويشرف على توجيه وتنسيق تحركات أذرع إيران في المنطقة، منذ ترأسه لفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في 1998، وكما هو معروف فأن فيلق القدس هو المنظمة الإيرانية المسؤولة عن النشاطات والعمليات الخارجية للحرس الثوري. أما في العراق فقد كانت الصدمة مضاعفة لمقتل سليماني وأبو مهدي المهندس، فقد وصل تأثير ونفوذ سليماني في العراق إلى درجة كبيرة لا يمكن تصورها، ولن نتردد إذا قلنا أن نفوذ سليماني في العراق لا يضاهيه نفوذ أي مسؤول أو سياسي في العراق من كل المناصب والقوى السياسية، ومن كافة الطوائف والقوميات. ومن جهة أخرى فإن أبو مهدي المهندس الذي تمت تصفيته مع سليماني، واسمه الحقيق "جمال جعفر محمد الإبراهيمي"، كان يشغل (رسمياً) منصباً حكومياً رفيع المستوى، وهو نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي الذي أصبح جزء من القوات الأمنية الحكومية بموجب القوانين العراقية، بمعنى أن الأمريكان اغتالوا مسؤولًا أمنياً عراقياً كبيراً مع سليماني، وهذا يمثل اعتداء بموجب الأعراف الدولية. وتكمن أهمية المهندس بكونه أصبح بمثابة المساعد الأول للجنرال سليماني في العراق منذ عدة سنوات، وكانا الاثنان لديهما القدرة على السيطرة والتحكم بالأوضاع الأمنية والسياسية في العراق، وإبقائها على حالة معينة، تتوسط بين الفوضى الشاملة ونوع من الاستقرار الملائم للمصالح الإيرانية في العراق. في لقاء تلفزيوني مع السياسي والمفكر العراقي "حسن العلوي" في أيار 2019، قال العلوي بأن أبو مهدي المهندس هو "لورنس الشيعة"، وأن "المهندس قادر على تنظيم أمور الشيعة، بعقلية مشابهة لعقلية "لورنس البريطاني"، علماً أن العلوي يشير في كلامه إلى "توماس إدوارد لورنس"، ذلك الضابط البريطاني الذي كان له دوراً كبيراً في الحرب العالمية الأولى، في إنهاء الوجود العثماني في الشرق الأوسط لصالح الوجود البريطاني.

استمرت مرحلة الصدمة بعد مقتل سليماني والمهندس في العراق ليومي 3 و4 كانون الثاني، حيث صدرت خلال هذين اليومين بيانات منددة بالضربة الأمريكية من الرئاسات الثلاث في العراق، فضلاً عن بيانات تتوعد بالرد والانتقام صدرت عن زعماء

الفصائل المسلحة العراقية المرتبطة بإيران. ولكن في الوقت نفسه انتشرت أخبار عن حدوث حالة من الارتباك والقلق وتراجع المعنويات لدى تلك الفصائل، خشية من قيام الأمريكان باستهدافهم، بعد تجرؤ الأمريكان على استهداف سليماني والمهندس، وتناقلت وسائل التواصل الاجتماعي خلال يومي الصدمة، أخباراً (غير مؤكدة) عن قيام معظم قادة القوى السياسية–المسلحة القريبة من إيران، باتخاذ إجراءات لتمويه تنقلاتهم، وإخفاء أماكن إقامتهم، ولم يشارك معظم زعماء الفصائل المسلحة والشخصيات السياسية العراقية الحليفة لإيران في تشييع جنازة أبو مهدي المهندس في يوم 4 كانون الثاني في بغداد بشكل واضح وعلني، وإنما حضروا لوقت قصير جداً في وسط حشود المشيعين وليس في المقدمة كما هو متعارف عليه، من أجل تصوير مقاطع قصيرة عن وجودهم في مراسيم التشييع، لبثها على وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك لرفع الحالة المعنوية لأتباعهم، حيث ظهر قيس الخزعلي زعيم فصيل عصائب أهل الحق في مقطع فيديو قصير انتشر في مواقع التواصل الاجتماعي وهو يشارك في مراسم دفن المهندس في النجف، مرتدياً زياً عسكرياً وليس زيه الديني التقليدي، بمعنى أنه لم يشارك في مراسم تشييع جنازة المهندس في بغداد، كذلك ظهر هادي العامري زعيم منظمة بدر وحامد الجزائري زعيم فصيل سرايا الخراساني في مقطع قصير وهما يودعان جنازة المهندس من على السيارة التي تحمل الجنازة، وظهر نوري المالكي زعيم ائتلاف دولة القانون، وفالح الفياض رئيس هيئة الحشد الشعبي في مقطع قصير في وسط حشود المشيعين في بغداد، ولوحظ غياب العديد من زعماء الفصائل المسلحة عن تشييع جنازة المهندس، حتى رئيس الوزراء المستقيل عادل عبد المهدي ظهر في وسط حشود المشيعين في بغداد، وليس في مقدمتهم.

من المهم أن نذكر أن حادثة مقتل سليماني والمهندس انعكست على الاحتجاجات في العراق أيضاً، حيث لوحظ انخفاض زخم الاحتجاجات خلال يومي الصدمة، ولتفسير سبب تراجع مستوى الاحتجاجات خلال اليومين التي أعقبتا مقتل سليماني والمهندس، يجب العودة إلى تطورات تلك الاحتجاجات، حيث أن هذه الاحتجاجات كانت لها مطالب عدة، شملت المطالبة باستقالة الحكومة، ومكافحة الفساد (بجدية وشفافية)، واستبدال قانون الانتخابات الحالي بقانون (أكثر إنصافاً)، وتعديل الدستور، وتشكيل مفوضية انتخابات (مستقلة فعلياً)، وإجراء انتخابات مبكرة. إلا أنه من الواضح أن محصلة هذه المطالب هي مطلب رئيس واحد، وهو إزاحة الطبقة السياسية التي تحكم العراق منذ 2003 (أحزاب وشخصيات) من المشهد السياسي، وهنا تكمن الخطورة الأكبر لتطورات هذه الاحتجاجات ومطالبها، فمن المعروف أن وجود هذه الطبقة السياسية في حكم العراق، ارتبط بشكل كبير بوجود التأثير والنفوذ الإيراني في العراق، وإن إزاحة هذه الطبقة السياسية من المشهد السياسي في العراق، تتطلب انهاء (أو إضعاف) الدور الإيراني في المعادلة السياسية والأمنية في العراق، وهذا يعني بالدرجة الأولى انهاء دور الفصائل المسلحة المدعومة من إيران في العراق، وهذا ما أدركته تلك الفصائل المسلحة، وبدأت باستهداف تلك الاحتجاجات منذ اليوم الأول لانطلاقها، فضلاً عن أن تلك الفصائل لم تتوقف عن اتهام هذه الاحتجاجات بأنها "مؤامرة" مدبرة من الولايات المتحدة وحلفاؤها ضد محور إيران وحلفاؤها في المنطقة، لذلك خشي المحتجون من أن تستغل تلك الفصائل المسلحة أجواء الثأر والانتقام لمقتل سليماني والمهندس، والفوضى الأمنية التي شهدها العراق بعد تلك الحادثة، للقيام بأعمال عنف ضد المحتجين، وبخاصة أنه قبل مقتل سليماني والمهندس، وصلت أعداد الضحايا في هذه الاحتجاجات إلى أكثر من 400 شهيد وحوالي 20000 جريح من بين المحتجين، فضلاً عن اغتيال وخطف أكثر من 100 من الناشطين في هذه الاحتجاجات، وتقول الحكومة العراقية بأن هنالك (طرف ثالث) هو من استهدف المحتجين، وهو من أوقع

> بعد يومين من الترقب والحذر، يبدو أن القوى السياسية–المسلحة العراقية المدعومة من إيران، اطمأنت بأن الضربة الجوية الأمريكية التي اغتالت سليماني والمهندس هي عمل عسكري منفصل، وليست حملة عسكرية أمريكية واسعة النطاق لتصفية الأطراف العراقية المحسوبة على المعسكر الإيراني

تلك الخسائر بهم، ولكن الحكومة لم تكشف(بصراحة) من هو هذا الطرف الثالث، كما أن الحكومة لم تستطع حماية المحتجين من هذا الطرف الثالث! وإن إعلان الحكومة عن وجود طرف ثالث يستهدف المحتجين، يعني بوضوح اعتراف رسمي بوجود قوى سياسية–مسلحة في العراق تعمل وتتحرك خارج إطار الدولة ومؤسساتها، وإن هذه القوى السياسية–المسلحة لها أجندتها وحساباتها الخاصة، ولذلك تراجعت أو "تقلصت" الاحتجاجات بعد حادثة مقتل سليماني والمهندس، ويبدو أن هواجس المحتجين كانت صحيحة، فلقد تزايدت حوادث اغتيال الناشطين في الاحتجاجات في الأيام التي أعقبت حادثة مقتل سليماني والمهندس، كما تصاعدت تحريضات

وتهديدات قادة الفصائل المسلحة المدعومة من إيران ضد هذه الاحتجاجات.

3– مرحلة تصاعد المواقف:

بعد يومين من الترقب والحذر، يبدو أن القوى السياسية–المسلحة العراقية المدعومة من إيران، اطمأنت بأن الضربة الجوية الأمريكية التي اغتالت سليماني والمهندس هي عمل عسكري منفصل، وليست حملة عسكرية أمريكية واسعة النطاق لتصفية الأطراف العراقية المحسوبة على المعسكر الإيراني، فبدأت تلك القوى السياسية–المسلحة باستعادة الثقة بنفسها، وتصعيد المواقف ضد الوجود الأمريكي في العراق منذ يوم 5 كانون الثاني، وهنالك ثلاثة أطراف معنية بشكلٍ رئيسٍ بحادثة مقتل سليماني والمهندس في العراق، الولايات المتحدة، إيران، القوى السياسية–المسلحة العراقية المدعومة من إيران، وكل طرف من هذه الأطراف وضع احتمالات معينة لتصعيد المواقف نتيجة هذه الحادثة، فإيران أخذت بتصعيد التهديدات والتأكيدات على لسان أكثر من مسؤول حكومي وعسكري، بأنها سترد على مقتل سليماني، وأن جميع الاحتمالات مفتوحة لشكل ومكان وتوقيت الرد الإيراني. أما الفصائل المسلحة العراقية من جهتها صعدت تهديداتها أيضاً بأنها لن تسكت عن هذه الحادثة، وأنها ستنتقم من الأمريكان وحلفاؤهم، وصرح قيس الخزعلي زعيم فصيل "عصائب أهل الحق" بأن ثمن مقتل سليماني سيكون "زوال إسرائيل"، وثمن مقتل المهندس سيكون "طرد القوات الأمريكية من العراق". بينما هددت الولايات المتحدة ومن خلال تغريدات للرئيس ترامب في تويتر بانتقام كبير إذا ما تجرأت إيران على شن هجمات خطيرة ضد المصالح الأمريكية في المنطقة كرد على مقتل سليماني، وأكدت الولايات المتحدة بأنها لن تسكت على أي رد من إيران أو أتباعها يعرض أرواح الأمريكيين في المنطقة للخطر، وذكر ترامب في تغريداته بأن أكثر من 52 موقع مهم في إيران سوف يتعرض لضربة أمريكية قوية، بحالة إذا كان الرد الإيراني على مقتل سليماني "خطير ومؤثر"، وإن من ضمن هذه المواقع الإيرانية التي رشحها ترامب للضرب مواقع ذات قيمة ثقافية كبيرة لإيران.

وفي يوم 5 كانون الثاني تمكنت القوى السياسية–المسلحة القريبة من إيران من عقد جلسة للبرلمان العراقي، وإصدار قرار "برلماني" في تلك الجلسة يلزم الحكومة العراقية بالعمل على انهاء التواجد العسكري الأجنبي في العراق، وبالرغم من أن

القرار لم يحدد "القوات الأمريكية" بالاسم، ولكنه من الواضح أن هذا القرار يستهدف الوجود العسكري الأمريكي في العراق، وغاب عن تلك الجلسة البرلمانية معظم أعضاء البرلمان من "العرب السنة" و«الأكراد". وانتشر في مواقع التواصل الاجتماعي فيديو مسرب لحديث لرئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي (من العرب السنة) في تلك الجلسة، حيث ذكر الحلبوسي في ذلك الفيديو "أن النواب الحاضرين في تلك الجلسة يمثلون –الشيعة–فقط، وأن على الحاضرين في تلك الجلسة أن يدركوا عواقب هذا القرار الذي صدر"، وصرح الزعيم الكردي مسعود البرزاني فيما بعد حول هذا القرار البرلماني، بأن "ذلك القرار كان –قرار الشيعة فقط–ولا يمثل رأي جميع مكونات الشعب العراقي".

وفي مساء يوم 5 كانون الثاني تعرضت "المنطقة الخضراء" التي تضم السفارة الأمريكية في بغداد لهجوم بصواريخ الكاتيوشا، ولم يسبب الهجوم عن أي أضرار في السفارة الأمريكية في العراق، كما لم يتبنى أي فصيل مسلح هذا الهجوم.

وبعد صدور قرار البرلمان العراقي بساعات، كرر الرئيس الأمريكي ترامب تهديداته لإيران، من على متن الطائرة الرئاسية، أثناء رحلة عودته إلى واشنطن من ولاية فلوريدا، كما هدد ترامب بفرض عقوبات اقتصادية قاسية ضد العراق، بحالة قيام العراقيين بإجبار القوات الأمريكية على الانسحاب من العراق. وتسببت تهديدات ترامب بفرض عقوبات على العراق بانخفاض (بسيط) لسعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار، فضلاً عن انتشار مخاوف حقيقية في الشارع العراقي، من تبعات تلك التهديدات على الاقتصاد العراقي (غير المتماسك).

وكان واضحاً من مشاهد جلسة البرلمان العراقي في 5 كانون الثاني، بأن القرار الذي صدر عن تلك الجلسة، كان رسالة تضامنية مع إيران، وتعبير من النواب العراقيين الذين حضروا بأنهم رافضين لاغتيال سليماني، وأنهم بتصويتهم لصالح ذلك القرار، إنما يسجلون موقفاً داعماً لإيران في مواجهتها مع الولايات المتحدة، لأن هؤلاء النواب شعروا بأن المراصد الإيرانية تراقبهم في تلك اللحظة، ومن لم يصوت لصالح ذلك القرار، سيُحسب بأنه من خصوم إيران في العراق، ضمن مبدأ "من لم يكن معنا فهو ضدنا".

> يبدو من التصريحات الرسمية الإيرانية التي أعقبت هذه الهجمة الصاروخية، بأن إيران اكتفت بهذه الهجمات الصاروخية للرد على مقتل سليماني، ضمن مبدأ "ضربة مقابل ضربة"، وعدم السماح لتطورات هذا الحدث بالوصول إلى حرب مفتوحة مع الولايات المتحدة

وبعد حملة من التصعيدات والتهديدات الإيرانية بالانتقام لمقتل سليماني، جاء الرد الإيراني، ففي فجر يوم 8 كانون الثاني شنت إيران هجمات صاروخية مزدوجة، على قاعدة "عين الأسد" في محافظة الأنبار العراقية، التي تضم قوات أمريكية ووحدات من الجيش العراقي، وقاعدة عسكرية أمريكية أخرى في محافظة أربيل شمال العراق، ومثلت هذه الهجمات الصاروخية الإيرانية ذروة مرحلة التصعيد بعد مقتل سليماني، بالرغم من تلك الهجمات الصاروخية الإيرانية، لم تحدث سوى أضراراً مادية طفيفة في المعسكرات الأمريكية في العراق.

4–مرحلة خفض التصعيد ولملمة التوتر:

يبدو من التصريحات الرسمية الإيرانية التي أعقبت هذه الهجمة الصاروخية، بأن إيران اكتفت بهذه

الهجمات الصاروخية للرد على مقتل سليماني، ضمن مبدأ "ضربة مقابل ضربة"، وعدم السماح لتطورات هذا الحدث بالوصول إلى حرب مفتوحة مع الولايات المتحدة، لأن إيران تدرك بأنها غير مستعدة لهذه الحرب في الوقت الحاضر، لا سياسياً ولا اقتصادياً ولا عسكرياً. وبما يتعلق بالساحة العراقية، قررت إيران إعادة تنظيم القيادة والسيطرة على الفصائل المسلحة التابعة لها، وفق آليات عمل وهيكلية قيادة جديدة، تضمن الحفاظ على هذه الفصائل كورقة إستراتيجية بيد إيران.

بعد الانتقام الإيراني "المعلن" لمقتل سليماني، ركزت إيران جهودها على توحيد كل القوى السياسية–المسلحة العراقية (الشيعية)، ضمن إطار عمل جماعي ينسجم مع الأهداف والتوجهات الإيرانية في المنطقة، وتحت شعار موحد هو "إخراج القوات الأمريكية من العراق"، وأن يشمل هذا الإطار القوى العراقية (الشيعية) القريبة جداً من إيران، والقوى العراقية (الشيعية) القريبة –نسبياً–من إيران مثل "التيار الصدري"، وذلك لإيقاف الخلافات والصدامات التي حصلت بين بعض القوى السياسية–المسلحة العراقية (الشيعية)، بسبب اختلاف مواقف تلك القوى من الاحتجاجات الشعبية الحالية، خصوصاً الصراع بين التيار الصدري و«عصائب أهل الحق".

بعد الهجمات الإيرانية الصاروخية في 8 كانون الثاني وانتهاء مراسم دفن الجنرال سليماني في إيران، شهدت إيران عدة لقاءات واجتماعات بين قادة القوى السياسية–المسلحة العراقية القريبة من إيران، مثل مقتدى الصدر وهادي العامري وفالح الفياض وأكرم الكعبي وأبو آلاء الولائي وآخرون، فضلاً عن لقاءات جمعت قادة تلك القوى العراقية بالمسؤولين الإيرانيين، وتمخضت تلك الاجتماعات واللقاءات عن ترشيح هادي العامري زعيم "منظمة بدر" كبديل لأبو مهدي المهندس في قيادة فصائل الحشد الشعبي، وترشيح كاظم العيساوي "أبو دعاء العيساوي" من التيار الصدري كرئيس أركان لفصائل الحشد الشعبي، علماً أن مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري كان قد دعا في 6 كانون الثاني من مقر إقامته في إيران، إلى تشكيل "أفواج مقاومة دولية" من الفصائل المسلحة داخل العراق وخارجه.

إن إيران بحاجة ماسة في الوقت الحاضر لإعادة النظر في سياساتها في العراق، خصوصاً بعد فقدانها لسليماني والمهندس، وبعد الضرر الكبير الذي أصاب مكانة وسمعة القوى السياسية–المسلحة العراقية القريبة من إيران، نتيجة الاحتجاجات الشعبية.

من جهة أخرى، كان واضحاً من التصريحات الرسمية الأمريكية بعد الضربة الصاروخية الإيرانية، بأن الأمريكيين لن يردوا على الهجوم الصاروخي الإيراني، وأن الولايات المتحدة قبلت بضربة صاروخية إيرانية محدودة لم تؤدي لمقتل أي جندي أمريكي، مقابل الضربة الأمريكية التي قتلت سليماني والمهندس.

خفضت الولايات المتحدة من تهديداتها ولهجتها التصعيدية تجاه إيران، بعد الضربة الصاروخية الإيرانية، مع انتشار أخبار (غير مؤكدة) عن وجود حوارات وجهود دولية وإقليمية، تسعى لخفض التصعيد بين الولايات المتحدة وإيران، وتجنيب المنطقة من الدخول في حرب مفتوحة. لكن ذلك لا يعني بالضرورة عودة الأوضاع في العراق إلى ما كانت عليه قبل مقتل سليماني والمهندس، حيث أن الفصائل المسلحة العراقية المدعومة من إيران استمرت في تهديداتها للوجود الأمريكي في العراق، سواء عن طريق تصريحات قادة تلك الفصائل، أو عن طريق بعض الهجمات الصاروخية (المحدودة) للمعسكرات الأمريكية في العراق، مثل قاعدة "بلد" في 12 كانون الثاني، وقاعدة "التاجي" في 14 كانون الثاني، مع ملاحظة أن هذين الهجومين لم يؤديان إلى إصابة أي جندي أمريكي، أو إحداث إي أضرار مادية كبيرة في المنشآت العسكرية الأمريكية،

بمعنى أن هذه الهجمات كانت مجرد رسائل تهديدية للأمريكيين من الفصائل المسلحة العراقية القريبة من إيران لإعطاء انطباع لدى الأمريكان بأن هذه الفصائل باقية ومستمرة بعملها، ولن تتراجع أمام التهديدات الأمريكية. وبالمقابل استمر المسؤولون الأمريكيون بالتأكيد بأنها سترد بقوة على أي هجوم "خطير" من وكلاء إيران في العراق، يهدد حياة الأمريكيين وحلفاؤهم في المنطقة، مع عودة الدعوات الأمريكية للإيرانيين بأنه لا سبيل أمام إيران سوى إعادة التفاوض على الملف النووي والصاروخي الإيراني.

في يوم 16 كانون الثاني أعلنت قوات التحالف الدولي في العراق، الذي تقوده الولايات المتحدة، عن إمكانية استئناف العمل بالعمليات العسكرية المشتركة بالتعاون مع الجيش العراقي، بعد أن توقفت تلك العمليات للأيام 5–15 كانون الثاني، بسبب تداعيات حادثة مقتل الجنرال سليماني، هذا الإعلان كان مؤشراً على تخفيف التوتر الذي نتج عن حادثة اغتيال سليماني والمهندس.

الخلاصة

إن مقتل سليماني والمهندس ستكون له تداعيات على قوة التأثير والدور الإيراني في العراق، إذ أن الجنرال سليماني كان يمتلك قدرات وخبرة ومهارات في التعامل مع الأوضاع في العراق، لا يمتلكها أي جنرال إيراني آخر. فلقد كان سليماني يؤدي أدواراً أمنية وسياسية، لحماية المصالح الإيرانية في العراق، وفي بعض الأحيان يؤدي أدواراً اقتصادية أيضاً. ولكننا لا يمكننا الجزم بأن الدور الإيراني في العراق في طريقه للضعف (سريعاً)، لأن طبيعة النفوذ الإيراني في العراق لا يقتصر على البعد الأمني فقط، وإنما له أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية واجتماعية. وربما يؤدي مقتل سليماني إلى تغيير الرؤية الإيرانية تجاه العراق، واعتماد إستراتيجية أقل اندفاعاً، وأقل تدخلاً في الشأن العراقي، وربما تقلل إيران من دعمها للجهات السياسية الفاسدة في العراق، لاستعادة قوتها الناعمة في العراق.

بنفس السياق، سيكون لمقتل المهندس تداعيات على تماسك وقوة الفصائل المسلحة العراقية المدعومة من إيران، لأن الشخصيتان (سليماني والمهندس) كانا يتبادلان الدعم والتنسيق والمشورة، ويعملان كفريق متكامل ضمن الإستراتيجية الإيرانية في العراق. وأي شخصية عراقية ستحل مكان المهندس في قيادة الفصائل المدعومة من إيران، لن تكون بكفاءة المهندس، أو بحجم ولاء المهندس للمشروع الإيراني في العراق، ولكن تبقى هذه الفصائل لديها القدرة على تعويض قياداتها، كما لديها الخبرة على التكيف مع المخططات الأمريكية ضدها، كما أن إيران لن تتخلى (في المدى القريب) عن الإصرار على بقاء وقوة الفصائل المسلحة العراقية القريبة من إيران، لكن ربما تقوم إيران بتوجيه تلك الفصائل المسلحة، لتقليل تحكم وتدخل تلك الفصائل بالشؤون السياسية والاقتصادية والأمنية في العراق، لاستعادة شعبية تلك الفصائل في الشارع العراقي، بعدما تضررت سمعة تلك الفصائل خلال تطورات الاحتجاجات الشعبية.

الولايات المتحدة من جهتها ستعيد النظر في إستراتيجيتها في العراق، على وفق معطيات المواقف بعد مقتل سليماني والمهندس، وستركز الولايات المتحدة اهتمامها على أمن قواتها ومقراتها في العراق، وزيادة التنسيق مع الأطراف العراقية التي تعارض الهيمنة الإيرانية في العراق، والأطراف العراقية التي ترحب بالوجود الأمريكي في العراق. ولن تتخلى الولايات المتحدة أيضاً عن مصالحها ووجودها في العراق (في المدى القريب). وسيبقى الصراع الأمريكي–الإيراني في العراق مفتوحاً على كل الاحتمالات، وإن هذه الاحتمالات ستعتمد على عاملين رئيسيين، الرؤية الإيرانية لدورها المستقبلي في العراق بعد مقتل سليماني والمهندس، تطورات ونتائج الاحتجاجات الشعبية في العراق. ويبدو أن الحكومة العراقية (الحالية) ما زالت الغائب الأكبر عن التأثير في مسارات الصراع الأمريكي–الإيراني في العراق.

الملاحظات

منشورات أورسام

المجلات الدورية "تحليلات الشرق الأوسط" و"دراسات الشرق الأوسط"، مجلة "تحليلات الشرق الأوسط" التي تصدر باللغة التركية كل شهرين، وهي تغطي آراء الباحثين والخبراء حول التطورات المعاصرة في الشرق الأوسط. مجلة "دراسات الشرق الأوسط"، وهي مجلة علمية محكمة مختصة بالعلاقات الدولية، تصدر بشكل نصف سنوي باللغتين التركية والإنكليزية، تقوم مجلة "دراسات الشرق الأوسط" بنشر الإسهامات البحثية للأكاديميين الذين يعدون خبراء في مجال تخصصاتهم. هنالك العديد من الأكاديميين المرموقين على المستويات المحلية والدولية ينشرون بحوثهم في مجلة "دراسات الشرق الأوسط". مجلة "دراسات الشرق الأوسط" مفهرسة من فهرس العلوم الاجتماعية التطبيقية والمخطوطات (ASSIA) ، وموقع EBSCO Host، و Index Islamicus، والببليوغرافيا الدولية للعلوم الاجتماعية (IBBS)، وملخصات العلوم السياسية في جميع أنحاء العالم (WPSA).

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
ORSAM
مركز دراسات الشرق الأوسط

orsamtr

+90 (312) 430 26 09
+90 (312) 430 39 48

info@orsam.org.tr
www.orsam.org.tr

انقرة/جنقايا/ محلة "مصطفى كمال"
زقاق 2128/ بنية ر قم 3